الصوت المتأرجح

قراءة في نقد الديمقراطية

في السينما الأمريكية



رشيد السراي

الصوت المتأرجح

قراءة في نقد الديمقراطية

في السينما الأمريكية

رشيد السراي

إصدار إلكتروني

آذار ٢٠٢١

الفهرست

خلاصة قصة فيلم:

الصوت المتأرجح (Swing Vote)[1] هو فيلم دراما كوميدية أمريكي انتج عام ٢٠٠٨م، أخرجه جوشوا مايكل ستيرن (Joshua Michael Stern)، وتألق فيه في دور البطولة الممثل كيفن كوستنر(Kevin Costner)، عرض لأول مرة في الأول من آب(اغسطس) عام ٢٠٠٨م.

الفيلم صُنف على إنه من أفلام الانتخابات الأمريكية لأن موضوعه كان الانتخابات الأمريكية، أخذ الفيلم اسمه من فكرة الصوت المتأرجح التي سنتحدث عنها لاحقاً، أما قصته فخلاصتها إن بود جونسون (Bud Johnson) -وهو بطل الفلم والذي يمثل دوره الممثل كيفن كوستنر- شخص فاشل هجرته زوجته يعمل في وظيفة بسيطة ويسكن مع بنته الوحيدة في مكان بسيط بلا أمل في تحسن وضعه نحو الأفضل[2]، وهو بلا توجه سياسي، بل بلا اهتمام سياسي أصلاً[3] يسكن في بلدة تيكسيكو في نيو مكسيكو، اقنعته ابنته مولي (الممثلة مادلين كارول) ذات الثمان سنوات ليكون أكثر جدية في الحياة[4]، ومولي هي التي تدير المنزل فعلياً، ترى مولي في يوم الانتخابات فرصة لتنشيط والدها. وكرد فعل على عدم مبالاة والدها بموضوع التصويت فإن مولي تتسلل إلى مركز الاقتراع لتحاول التصويت نيابة عن والدها ولكن نظراً لأن آلة الاقتراع لم تكن مشغلة (موصولة) يتم تسجيل الاقتراع دون قرار بشأن المرشح الذي سيحصل على الصوت[5]، هذه المفارقة الأولى.

---

١ - هناك فيلم تلفزيوني بنفس العنوان للمخرج ديفيد إنسباف انتج عام ١٩٩٩م لكن موضوعه مختلف.

٢ - صورة نمطية عن الناخب المهمل من الساسة.

٣ - صورة نمطية عن الناخب غير المهتم سياسياً والذي لا يشترك في الغالب في التصويت.

٤ - إشارة إلى الموجه لمثل شخصية بود جونسون وحاجته لذلك.

٥ - وبالتالي يمكن للناخب إعادة التصويت.

المفارقة الثانية هي إن الانتخابات برمتها يتوقف حسم النتيجة فيها بين المرشحين على صوت بود جونسون ومشاركته التي لم تكن بإرادته أصلاً[٦]! حيث يتوقف الأمر في الحسم على ولاية نيومكسيكو والتي يتوقف الحسم فيها على صوت بود!

هنا ينصب اهتمام المرشحين الجمهوري وهو الرئيس الحالي، أندرو كارينغتون بون (الممثل كيلسي جرامر)، ومدير حملته الانتخابية، مارتن فوكس (الممثل ستانلي توتشي)؛ والديمقراطي المعارض، السيناتور فيرمونت دونالد غرينلف (الممثل دينيس هوبر) على بود جونسون وصوته لأنه الحسم متوقف عليه عبر سلسلة من الأحداث تبرز الجانب السلبي في تلك المنافسة والاستغلال البشع لرغبات الناخب بود وسذاجته. بل يصل الأمر إلى مخالفة المرشحين لآراء جهاتهم السياسية[٧] لأجل استمالة بود! فتظهر صورة استعدادهم لفعل أي شيء لأجل الحصول على صوت بود واضحة في ذلك، ويبدأ كل واحد منهم في البحث عما يريده بود لإسراع بتوفيره له!

يبدأ الإعلام بلعب دور سلبي هنا هو الآخر[٨] حيث يتم تصوير آراء بود جونسون بطريقة خاطئة مما يسبب تخبط للمرشحين في سعي كل طرفٍ لاستمالة بود لصالحه ويلجئون إلى أساليب ملتوية في ذلك، والضغط المستمر من الإعلام لمحاولة السبق للمعلومة وتوجيه الأحداث في بعض الأحيان يسبب أرباك كبير لبود وللمرشحين!

بعد سلسلة من الأحداث تضمنت ما ذكرنا سابقاً، ونتيجة لعدم وصول أي مرشح لنتيجة نهائية[٩]، وفي استجابة لمقترحات من مستشاريهم يبدأ المرشحون بالتوقف عن ذلك فيكسب كلاهما احترام بود[١٠]، ويتم أتخاذ قرار بإجراء مناقشة بينهما قبل يوم من اتخاذ القرار النهائي من قبل بود، ولاحقاً يكتب بود خطاب يقول فيه ما مضمونه بأنه

٦ – إشارة واضحة إلى واحدة من أهم النقود الموجهة للديمقراطية وهو إنه ممكن أن يكون القرار فيها بيد شخص غير واعي غير مريد للتغيير للأفضل.

٧ – المقصود هنا الثوابت المعروفة في المواقف لكل من الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي.

٨ –إشارة إلى دور الإعلام السلبي في الديمقراطية والتأثير على قرار الناخب.

٩ –كان ذلك في الغالب نتيجة تأثير بنته الايجابي عليه.

١٠ – إشارة واضحة إلى ما ينبغي فعله، ولكن هل يفعل المرشحون ذلك فعلاً؟

يعترف إنه لا يعرف سوى القليل عن السياسة، وينتهي الفيلم بإدلائه بصوته دون أن يتم توضيح لمن صوت هو في النهاية كنوع من الحبكة الدرامية.

كُتب عن الفيلم عدة مقالات فقد كتب مانويلا داركيس (Manohla Dargis) مقال عنه في نيويورك تايمز تحت عنوان (أهلاً أمريكا هذا الرجل لك)[11] ، كما كتب مقالات وتحليلات أخرى بعضها في مواقع عربية.

١١ -http://www.nytimes.com/2008/08/01/movies/01swin.html?_r=0



قراءة سريعة للفيلم:

تناول الفيلم من خلال حبكة درامية كوميدية لم تكن موفقة كثيراً عدة أفكار سياسية بالنقد والتوضيح منها:

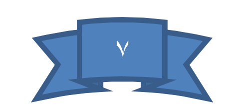
١-الإشارة بوضوح من خلال شخصية بود جونسون إلى نسبة من الناخبين-قد تكون كبيرة- وضعها مزري، ولا تمتلك رؤية سياسية، ولا دافع للمشاركة في الانتخابات وتراها غير ذات جدوى في التأثير في حياتها.

٢-حاجة أمثال هذا الشخص إلى محفز ومثلت البنت في مرحة ما هذا المحفز حيث شعور الأب بأن بنته تشعر بالعار من وضعه دفعه إلى قبول فكرة المشاركة بعض الشيء، ثم جاءت الحوافز السلبية التي قدمها المرشحون، ثم أصبح لدى الشخص حافز شخصي قفزت إليه دراما الفيلم دون مبررات كافية.

٣-حاجة أمثال هذا الشخص إلى موجه ومحفز -كانت البنت في الفيلم هي من أدت هذا الدور- إذ بدونه لا يمكنه الانتباه لأهمية الموضوع أولاً ولا يمكنه اتخاذ القرار الصحيح بشأنه ثانياً.

٤-أمثال هذا الشخص إذا ما ازدادت نسبتهم-وهو الوضع الحالي في الغالب- فإن الخيار الانتخابي ونتيجة الانتخابات ليست هي بالضرورة هي النتيجة الصحيحة، وهذا يشكل واحدة من أهم نقاط النقد الموجهة للديمقراطية وتعني كون الخيار الأهم بيد من لا يهتم ولا يعرف!

٥-استعداد السياسيين لفعل اي شيء للحصول على الاصوات، وقولهم وتقديمهم ما يرغب به الناخب، وهذه نقطة مهمة في نقد الديمقراطية لأنها تتيح مثل هكذا خيار سلبي، فمادام الناخب لا يهتم للنتائج ولا يملك الرؤية الصائبة في التقييم ولديه رغبات واحتياجات فلماذا لا يقدمها له المرشح ليحصل على صوته بسهولة؟!



٦-حالة النزاع الكبيرة بين المرشحين-والتي قدمها الفيلم بصورة درامية كوميدية-والتي يمكن أن يوظف فيها المرشح كل إمكانياته لأجل الوصول للسلطة حتى لو كان ذلك بوسائل خاطئة، وإمكانية التوظيف هذه وحالة التنازع من السلبيات التي المؤشرة على الديمقراطية عند من ينتقدها. كما يقدم الفيلم صورة عما يحدث في الحملات الانتخابية الأمريكية وسبق وتناول هذا الموضوع العديد من الأفلام الأمريكية.

٧-تكالب وسائل الإعلام على المدينة الصغيرة التي يسكنها بود جونسون بعد معرفة موضوع الصوت الحاسم وخلق أجواء ضاغطة عليه زادت من إرباكه وقوّت لديه الرغبات والطلبات وهذا هو الدور السلبي الذي يمكن أن تلعبه-وهي تلعبه فعلاً- وسائل الإعلام في العملية الانتخابية في بحثها عن الخبر الجديد والمثير[١٢] مما يربك خيارات الناخب لدرجة كبيرة ويقدم للناخب والمرشح على السواء صورة مشوهة عن الواقع وعن المطلوب. ويكون هاجس الإعلام هو الحصول على السبق الصحفي بغض النظر عن الطريقة أو الآثار السلبية التي تترتب على الحصول عليه ونشره.

٨-إشارة في الفيلم إلى الناخب بأن صوته مهم بغض النظر عن كل شيء وهو مهم لدرجة إنه ممكن يكون الفيصل فعلاً في تقرير مصير البلد كلياً كما في فرضية الفيلم رغم المبالغة فيها.

٩-تنبيه إلى أهمية أصوات الناخبين في المناطق المنسية ومنها بلدة بود التي لولا الحدث المفاجئ هذا لما اهتم بها الإعلام ولا المرشحين.

---

١٢ -هذا أهون الخطب فقد تكون وسائل الإعلام موظفة من قبل أحد المرشحين وليس هدفها نقل الخبر الجديد والمثير فقط، كما قد تسهم في صنع أحداث غير واقعية أو تضخيم أو تحجيم أخبار معينة لنفس الغايات.



أفكار أفلام مشابهة:

هناك أفلام أمريكية كثيرة محورها الجانب السياسي بصورة عامة أو الانتخابات، وبعضها اختص بانتقاد الديمقراطية بصورة عامة أو الانتخابات بشكل مباشر أو غير مباشر، كفيلم رجل العام ، وفيلم الحملة، وفيلم الانتخابات، وغيرها، ومنها فيلم الصوت المتأرجح الذي ركز على قضية إمكانية توقف نتائج الانتخابات على صوت ناخب متردد واحدا!

جوشوا مايكل ستيرن، الذي أخرج وشارك في كتابة سيناريو الفيلم مع جيسون ريتشمان، له أعمال سابقة مماثلة في هذا المجال، وفرضية الفيلم ليست جديدة فهي مشابهة لفرضية قصة الخيال العلمي امتياز (Franchise) لإسحاق عظيموف والتي ظهرت للمرة الأولى عام ١٩٥٥م، والتي تتحدث عن التحول للديمقراطية الإلكترونية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تحدد نتيجة الانتخابات وفق إجابات شخص[١٣] على اسئلة يضعها الحاسوب (MULTIVAC)[١٤]!

قورنت فكرة الفيلم أيضاً بفيلم أصوات الرجل العظيم (The Great Man Votes) المنتج عام ١٩٣٩م، وهو فيلم دراما أمريكي من بطولة جون باريمور والذي يتحدث عن أستاذ أرمل يتحول إلى سكير ويكون صوته هو الحاسم في انتخابات رئيس البلدية، والفيلم مستند إلى قصة قصيرة لغوردون مالرب هيلمان تحمل نفس الاسم نشرت في عام ١٩٣٣م[١٥].

١٣ –ناخب العام (Voter of the Year) وكان يمثله في القصة نورمان مولر.

١٤ –https://en.wikipedia.org/wiki/Franchise_(short_story)

١٥ –https://en.wikipedia.org/wiki/The_Great_Man_Votes



كما تم استخدام نفس فرضية الفيلم قبل ذلك في أحدى حلقات المسلسل التلفزيوني الأمريكي (F Troop) المنتج عام ١٩٦٦م في الاقتراع على اختيار العريف أغارن[١٦].

١٦- https://en.wikipedia.org/wiki/F_Troop



نقد الديمقراطية في السينما الأمريكية:

نقد الديمقراطية (Criticism of democracy) من الأمور التي أخذت مساحة كبيرة في الفكر الغربي على ما يتصور الكثيرون[١٧]، وهناك مؤلفات عديدة حول هذا الموضوع بعضها ركزت في النقد على المقارنة بنظم بديلة، وبعضها على بيان سلبيات الديمقراطية عموماً، وبعضها تحدثت عن النموذج الأمريكي، وبعضها عن الانتخابات وما يجري فيها، وبعضها على تفاصيل محددة ومنها فكرة الصوت المتأرجح، فما المقصود بالصوت المتأرجح؟

الصوت المتأرجح:

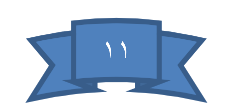
هو مصطلح سياسي يقصد به: الصوت الذي ينظر إليه على إنه يحتمل الذهاب إلى أي من المرشحين في الانتخابات لكون المرشح غير تابع لحزب معين أو ينتمي لفكر سياسي معين، ويسمى الناخب بالمتأرجح أو العائم أو المتردد، وهو هدف لأغلب السياسيين في حملاتهم الانتخابية لأنه في حالات كثيرة تعتمد عليه نتيجة ترجيح أحد المرشحين.

وظف الفيلم هذا المصطلح بافتراض متطرف بعض الشيء [١٨] ولكنه أراد على المسألة أكثر عبر طرحها بصورة أكثر غرابة، وفكرة الصوت المتأرجح أو الناخب المتأرجح لها موارد اهتمام كثيرة وتشير إلى أمور كثيرة منها:

---

١٧ – يتصور الكثيرون إن الديمقراطية محل قبول مطلق في الغرب وهذا غير واقعي وهو ما أردنا التنبيه عليه من خلال مجريات البحث.

١٨ –توقف النتيجة كلياً على ناخب متردد واحد.



١-إن هناك مستوى عدم قبول-أو عدم اهتمام-كبير بالعملية الديمقراطية وما قد ينتج منها، ويستدلون على ذلك بالنسب المرتفعة لعدم المشاركة وبالحاجة لأساليب متنوعة لحث البعض للمشاركة أو لتقلب البعض من رأي لآخر ومن تأييد جهة لأخرى لدوافع غير واعية[١٩].

٢-هذه الفئة المتأرجحة- المترددة- قد تقلب موازين النتائج كلياً، ويمكن من خلالها أن ينتج عن الانتخاب نتائج غير واعية وهذا أحد مثالب الديمقراطية كما اشرنا لذلك سابقاً.

٣-وجود فئة متأرجحة مؤشر خلل في طرح الجهات السياسية الذي لا يكون محل قبول.

٤-أساليب التعامل مع الفئات المتأرجحة من قبل الجهات والشخصيات السياسية قد تعكس مستوى متدني من الوعي يتأرجح بين الاستغلال والخداع والابتزاز وتقديم المغريات.

٥-لكل زمان ولكل مكان فئاته المتأرجحة والتي ينبغي أن تكون محط اهتمام إيجابي[٢٠]، من خلال دراسة وضعها وتصنيفها وبيان أسباب تأرجحها.

فبالنسبة للمجتمع الأمريكي، صنفت الكاتبة الأمريكية ليندا كيليان (Linda Killian) في كتابها الصوت المتأرجح: القوة غير المستغلة للمستقلين (The Swing Vote: The Untapped Power of Independents) الصادر عام ٢٠١٢م الناخبين المتأرجحين (المترددين) في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أربعة فئات:

١-الجمهوريين المختلفين مع الحزب الجمهوري(The NPR Republicans) أو الجمهوريين الروكفليين (Rockefeller Republicans).

---

١٩ – قد يكون منها عدم الاكتراث وبالتالي لا مشكلة في انتخاب الجهة الفلانية مرة وانتخاب الجهة المضادة لها مرة أخرى، وقد يكون منها الانتقال بالولاء أو الرأي نتيجة المغريات.

٢٠ – السلبي هو الاستغلال.

٢-الديمقراطيين المختلفين مع الحزب الديمقراطي (America First Democrats) أو الديمقراطيين الريغانيين (Reagan Democrats).

٣-جيل الفيس بوك (The Facebook Generation).

٤-الآباء والأمهات في الضواحي(Starbucks Moms and Dads)[٢١].

أما في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية ووفقاً لتجارب الديمقراطية المحددة فإن لهذه الفئات تقسيم مختلف وعلى حد علمي لم توجد دراسة بهذا الشأن مشابهة أو مقارنة لهذا الكتاب.

---

٢١ -لتفاصيل أكثر أنظر الكتاب أو مقال الكاتبة نفسها على الرابط
http://www.theatlantic.com/politics/archive/2012/02/4-types-of-independent-voters-who-could-swing-the-2012-elections/252363/

الخلاصة:

إن الديمقراطية نتاج بشري هو أفضل من نظم أخرى بلا شك، ولكنه لا يخلو من ثغرات قد يتم حل بعضها بوسائل مختلفة وبعضها يتطلب مستوى وعي أعلى وبعضها يصعب تصور حله، ولذا ومنذ فترة طويلة يتم نقد الديمقراطية-فكرة وممارسة- في الغرب مرة لتهذيبها ولمرة لطرح بدائل[٢٢].

---

٢٢ - كُتب كبحث لصالح أحدى المجلات الصادرة في العراق سنة ٢٠١٦.

للتواصل مع المؤلف

الفيس بوك:(حساب شخصي):

رشيد السراي

الفيس بوك (صفحة عامة):

رشيد حميد السراي

البريد الإلكتروني:

rasheedasarai@yahoo.com

rasheedasarai@gmail.com